المحاضرة الثانية

تكنولوجيا الاتصال والتغير الاجتماعي

تمهيد:

إن الانتشار السريع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، كما ونوعا جعلها تساهم بقدر كبير في التغير الاجتماعي الذي يعرفه العالم اليوم، وذاك من خلال ترسيخ أشكال وأنماط حياتية جديدة، وقيم وسلوكيات مختلفة، وطرق تواصل واتصال مختلفة بل ومتميزة وجديدة. مما جعلها تسهم - بشكلٍ أو بآخر- في تكوين قيم وتصورات واتجاهات جديدة للأفراد، مما أدى إلى تغيرات بنيوية وراديكالية في النسق الاجتماعي العام، والعلاقات بين أفراده، كما أدى إلى ظهور أشكال وممارسات سلوكية جديدة.

ازدادت أبعاد الدور الإعلامي والاتصالي للتكنولوجيات الحديثة على نحوٍ لم يكن مسبوقا، الأمر الذي جعل معظم شعوب العالم عرضة لتأثير الوسائل التكنولوجية على اختلافها، وتزداد أهمية تكنولوجيا الاتصال بمختلف أشكالها – مكتوبة، مسموعة، مرئية أو تفاعلية- نتيجة لما تحدثه من تقارب وتفاعل بين المجتمعات المتباعدة جغرافيا، والثقافات المتمايزة، وبهذا أصبحت تكنولوجيا الاتصال عاملا هاما من عوامل التغير السوسيو-ثقافي، وعنصرا فاعلا في صيرورة التنمية الثقافية، فهي ليست مجرد أجهزة مادية أو قنوات إرسال وتوزيع جوفاء، إنما هي وعاءٌ لنقل التراث الحضاري والثقافي، ووسيطٌ هامٌ في عملية التبادل الثقافي على المستوى العالمي.

1- مقاربة مفاهيمية:

تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

تستخدم كلمة التكنولوجيا كترجمة للكلمة ذات الأصل اللاتيني technology، وقد ورد في بعض المصادر أن أول ظهور لمصطلح technology كان في ألمانيا عام 1970، وهو مركب من مقطعين techno وتعني في اللغة اليونانية "الفن" أو "الصناعة اليدوية"، و logy وتعني "العلم" أو "النظرية"، وينتج عن تركيب المقطعين معنى "علم صناعة المعرفة النظامية في فنون الصناعة، أو العلم التطبيقي" ويقابل هذا المعنى في اللغة العربية كلمة تقنية، وجاء في لسان العرب التقنية الإحكام للأشياء، ورجل تقن متقن للأشياء أي حاذق، وتقن اسم لرجل كان جيد الرمي، يضرب له المثل ولم يكن يسقط له سهم، ثم قيل لكل حاذق بالأشياء تقن، ومنه يقال أتقن فلان عمله إذا أحكمه.

تمتد تكنولوجيا الإعلام والاتصال على أكثر من حقل معرفي ودلالي، فهي ترتبط بالرياضيات والفيزياء وعلم الاجتماع وعلم النفس وهندسة الاتصالات وغيرها، هذا الانفتاح والتشعب، يجعل من الصعوبة بمكان تحديد تعريف دقيق لما تعنيه لفظة تكنولوجيا الإعلام والاتصال، فبالإضافة إلى كونها دعائم وسندات الكترونية معلوماتية تسمح لمستخدميها من الوصول إلى محتويات ومضامين متعددة وتحت أشكال أو أنماط متنوعة (مكتوب، مسموع، صورة، نص، صوت)، هي فضاءات جديدة لتبادل المعلومات، ومنظومات اتصال جديدة تستحدث ممارسات وأساليب اتصالية ومعيشية جديدة

يمكن تعريفها على أنها: تلك الأدوات أو المعدات أو الأجهزة التي تختص بجمع وتخزين واسترجاع وإرسال وعرض المعلومات والبيانات سواء كانت مرئية أم مصورة أم مكتوبة أو مسموعة أو مرسومة، ليستفيد منها الفرد أو المجتمع، وذلك في اختياره مما تتضمنه من معلومات وبيانات يحتاج إليها لتسهيل حياته.

يعرفها المعجم الإعلامي على أنها: مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة، والأدوات والوسائل المادية والإدارية والتنظيمية المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها، أي توصيلها إلى الأفراد والمجتمعات

وقد عرفها فضيل دليو على أنها: علم الصناعة الذي لا يشمل فقط العتاد والتجهيزات، والتقنيات التي يستخدمها الإنسان خدمة لأغراضه وتحقيق مستلزماته، بمعنى أنها لا تقتصر على الجانب المادي فقط بل تحتوي على موضوعات التنظيم والإدارة وممارسة عملية العمل والقيادة في شتى النواحي التنظيمية، كما أنها نتاج اجتماعي وثقافي يشمل الأفكار والمعتقدات والسلوك وجميع التصورات والقيم التي يستمدها الفرد من خلال تعامله مع الطبيعة والمجتمع، لأن التكنولوجيا قبل أن تكون آلة أو جهازا فهي فكرة تولدت عن حاجة أو رغبة اجتماعية معينة في وقت معين، وفوق هذا وذاك، فإن تأثير التكنولوجيا لم يتوقف عند حدود المصنع، بل شمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمع، وبالتالي فإن للتكنولوجيا ثلاث أبعاد رئيسية هي: الآلات والمعدات التي يستعملها الإنسان hardware/ المعارف والأفكار والأساليب التي تمكن من استخدام هذه الآلات والمعداتsoftware/ هي نتاج اجتماعي، فلا توجد بمعزل عن محيطها الاجتماعي

التغير الاجتماعي: لغويا تدل على معنى التبدل والتحول، وقد جاء في لسان العرب تغير الشيء عن حاله: تبدل، وغيّره بمعنى حوّله وبدّله، كأنه جعله غير ما كان. أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرفه

أحمد زكي بدوي على أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه، خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي أو في نظمه وأنماط العلاقات التي تنتظم بداخله.

وعرفه روجرز على أنه العملية التي يحدث من خلالها تغير وتبدل في البنيان والوظيفة الاجتماعية للنظم الاجتماعية، وقد يحدث هذا التغير من خلال المخترعات، أو يحدث من خلال الحروب أو الكوارث الطبيعية، كما قد تكون عملية التغير مخطط لها ومدروسة أو غير مخططة وفجائية.

وقد ظهر هذا المصطلح بشكل عام بعد ما نشر (ويليام أوجبرن) عام 1922 كتابه (التغير الاجتماعي) وفيه ركز اهتمامه على دراسة العلاقة بين الاختراعات والتغير الاجتماعي، علماً بأنه لا ينكر دور وتأثير العوامل الطبيعية والبيولوجية في تغير المجتمع، لكنه يوضح بأن هذه العوامل ليس لها تأثير مثلما للعوامل الثقافية والاختراعات والثورة الصناعية واختلفت آراء العلماء والمفكرين حول اتجاهات التغير الاجتماعي في المجتمع الحديث، والتغير الاجتماعي كمفهوم متعارف عليه في علم الاجتماع وخصوصاً في مجال الدارسات الديناميكية ينظر إليه على إنه من السمات التي لازمت الإنسانية منذ فجر نشأتها الأولى حتى عصرنا الحاضر، لدرجة أصبح التغير معها أحدى السنن المسلم بها والملازمة لبقاء الجنس البشري والتفاعل مع أنماط الحياة على اختلافها كي تتحقق لدينا أنماط وقيم اجتماعية جديدة يشعر في ظلها الأفراد بأن حياتهم متحركة ومتجددة.

آليات التغير الاجتماعي: تختلف مصادر التغير الاجتماعي وتتعدد نظرة المفكرين إليها، ولكن يمكن القول أن هناك مصدرين للتغير هما:

1- المصدر الداخلي: أي أن يكون قائما في داخل النسق الاجتماعي وإطاره المجتمع نفسه، أي أنه نتيجة لتفاعلات تتم داخل المجتمع.

2- المصدر الخارجي: الذي يأتي من خارج المجتمع نتيجة اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات.

وبطبيعة الحال سواء أكان المصدر من الداخل أم من الخارج فإن ذلك يقوم على آليات محددة هي:

الاختراع والاكتشاف/البيئة الاجتماعية الموائمة: القابلية للتغيير/ الانتشار.

وهناك من يرى بأن أي موقف اجتماعي يكون نتيجة لأربعة عوامل أساسية في كل تغير اجتماعي وهي: البيئة الطبيعية، والجماعات الإنسانية، والثقافة السائدة، والمظاهر البيولوجية والسيكولوجية للأفراد، ولذلك فإن أي تغير في عامل أو أكثر من هذه العوامل، يستدعي تغيرات توافقية في الأنساق المرتبطة بالسلوك الاجتماعي، فالتغير الحادث لا يحدده عامل واحد، وإنما يتم بمساعدة عوامل أخرى، وتكون عملية الفصل بين العوامل من باب الفرضية من أجل التحليل والدراسة.

2- النظريات المفسرة للتغير الاجتماعي:

أولاً: نظريات التقدم الاجتماعي.

تقوم نظرية التقدم الاجتماعي في نظرتها إلى التغير الاجتماعي على أنه يسير في خط متصاعد أي أن التغير يكون ارتقائياً . وأن المجتمعات في تقدم مستمر (مثل نظريات العقد الاجتماعي)

ثانياً: نظريات الدورة الاجتماعية:

وهي نظريات متشائمة حول مستقبل التغير الاجتماعي، حيث ترى أن عملية تغير الحياة الاجتماعية تسير بشكل دائري تنتهي حيث بدأت وهذه الحركة منتظمة تشبه نمو الكائن الحي ، أي أن عملية التغير تتجه صعوداً وهبوطاً ، بحيث تبدأ من نقطة معينة في دورة تقود المجتمع إلى نقطة مشابهة للتي بدأ منها (مثل النظرية الدائرية لابن خلدون)

ثالثاً: نظريات التطور الاجتماعي :

تعتبر فكرة التطور من أهم الأحداث الكبرى التي سيطرت على الفكر الإنساني ، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان لكتاب داروين " أصل الأنواع " الذي نشره عام 1859م أكبر الأثر في نشوء النظرية التطورية في الفكر السوسيولوجي . ومن أشهر الممثلين للاتجاه التطوري في علم الاجتماع العالم الإنجليزي هربرت سبنسر ، الذي يعتبر من أهم دعائم الحركة الاجتماعية العلمية في القرن التاسع عشر ، وهناك تشابه كبير بين نظريته الاجتماعية ونظرية داروين البيولوجية ، حيث شبه تطور المجتمع بتطور الكائن العضوي .

رابعا: نظريات العامل التكنولوجي:

ترى أن التغير الاجتماعي سببه العامل التكنولوجي، أي أن التكنولوجيا هي علة التغير في المجتمع ، وإن للعامل التكنولوجي أثراً مهماً في التاريخ الاجتماعي للمجتمعات ويؤدي إلى تقدمها .

فقد ساهمت التكنولوجيا في تكوين اتجاهات عدة داخل المجتمع ومنها :

- التخصص في العمل، حيث تقوم التكنولوجيا بوظائف متعددة وتصل إلى إنجاز عملها بكفاءة كبيرة .
- تكتسب الاختراعات التكنولوجية أهمية بالغة في حياة المجتمعات لأهمية ووضوح دورها مثل الكهرباء والهاتف وغيرها
- ظهور الظاهرة الامبريالية والاستعمار والتبعية ، الناتجة أساساً عن الثورة الصناعية التي أدت فائض في الإنتاج الصناعي وإلى مخترعات متفوقة
- التغير في مجال القيم الاجتماعية مثل قيمة تأثير السيارة كبديل تكنولوجي للجمل وارتفاع قيمة حياة الاستقرار والحضر على حساب حياة الترحال والبداوة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية
- ظهور أهمية المجتمعات الصناعية وسرعة تقدمها مقارنة بالمجتمعات الأخرى، وتؤدي التكنولوجيا دورها في إحداث التغير الاجتماعي : عندما يحدث تراكم في مجال الثقافة المادية نتيجة لعامل : الاختراع والاكتشاف أو عامل : الانتشار وذلك بشكل أسرع من الجانب اللامادي للثقافة ، الأمر الذي يؤدي إلى تخلف الجانب اللامادي عن الجانب المادي

خامساً : نظريات العامل الثقافي :

تركز نظريات العامل الثقافي بشكل عام على آليات التغير الثقافي ومصادره ، وهل هي داخلية أم خارجية ؟ وكيف يحدث ذلك ؟ وتتمثل في ثلاث اتجاهات رئيسة هي :- (1)_نظرية الانتشار الثقافي :- (2)_نظرية الارتباط الثقافي :- (3)_نظرية الصراع الثقافي .

مراجع المحاضرة

- فضيل دليو، **التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم، الاستعمالات، الآفاق**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2010.
- رضوان بوجمعة، **التكنولوجيا الجديدة للاتصال وعولمة الثقافة: الهوية شرط في الاتصال**، مجلة فكر ومجتمع، طاكسيج كوم للدراسات والنشر، العدد الأول، يناير 2008.
- عاطف محمد غيث، **التغير الاجتماعي والتخطيط**، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1962. .